التربية الصوفية وأهدافها

الدكتورة بن عمر سامية

جامعة الاغواط

مقدمة:

ظهرت بذور التصوف في سماء الفكر الإسلامي في بداية القرن الثاني الهجري على هيئة نزعات شديدة من الزهد في متاع و زخرف الدنيا، نتيجة لذنوب التي يقترفها العاصي المسلم و محاولته محوها بطلب المغفرة من ربه، و كذا الرعب الشديد الذي ينتاب العصاة من اليوم الأخر و ما فيه من عذاب شديد مما يجعلهم يطلبون التوبة من خلقهم و الزهد في الحياة، و من هنا صار التصوف يعني الالتزام بطريق في الحياة يمكنهم في الوصول إلى علاقة مع الله.

وقد تطور التصوف من خلال أعمال وأفكار هؤلاء الأشخاص الذين ساعدوا على إبراز الصوفية بإختلاف طرقها التي لعبت دورا فعالا في تطوير الحياة الاجتماعية و نشر الحضارة الإسلامية بين الشعوب و التصدي لحركات التبشير و الاستعمار في مختلف الفترات التاريخية.

أولا – تعريف الصوفية:

يعني أصل التصوف العكوف على العباد و الانقطاع إلى الله و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد في الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة و السهر في الصلة أو تلاوة أوراد حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي، و تقوى فيه الجانب الروحي و يصل إلى معرفة الذات الإلهية و كماله.

و يرى ابن خلدون بأن كلمة الصوفي نسبة إلى الصوف و هي أنسب تعريف لهم لأن بعضهم لبس الصوف الذي صار علامة لهم، و يقول ابن خلدون بأنه في خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام كان التصوف عاما لدرجة أنه لم يأخذ أسما خاصا و لكن مع إنتشار الأفكار المتعلقة بالدنيا و ارتباط الناس بالحياة فإن الذين تفرغوا للعبادة ميزوا أنفسهم تحت شعار المتصوفين و حدد ابن خلدون التصوف في أربع عناصر و هي : الكلام في المجاهدات و محاسبة النفس في الأعمال، و الكلام في الكشف عن الحقيقة المدركة من عالم الغيب و التصرف في العوالم و الأكوان، و أنواع الكرامات، و أخيرا ألفاظ موهمة الظاهر نطق بها أئمة القوم. (1)

و يوضح عبد الرحمان الجامي الشاعر الفارسي المشهور أن أول من حمل اسم صوفي هو أبو هاشم الكوفي، فهو أول من لبس الصوف و أطلق عليه متصوفا، و أن من حدد نظريات التصوف و شرحها هو زنون المصري تلميذ الإمام مالك، و أن الذي شرحها و بوبها و نشرها هـ أبو القاسم الجنيد البغدادي.(2)

و لقد إختلفت الآراء حول حدود هذا اللفظ و تعريفاته، فيرى بشير بن الحارث الحافي بأن الصوفية سميت صوفية لصفاء أسرارها و نقاء أثارها، و الصوفي من صفا قلبه لله. (3)

أما أبو بكر الشبلي فيقول بأن الصوفي من صفا قلبه فصفى، و سلك طريق المصطفى صلى الله عليه و سلم، و رمى الدنيا خلف القفا، و أذاق الهوى طعم الجفا، و التصوف عند الشبلي هو تصفية القلوب لعلام الغيوب، و تعظيم أمر الله، و الشفقة على عباد الله، و الجد في السلوك إلى ملك الملوك. (4)

و يعطى أبو القاسم الجنيد تعريف بجمع كل تعاليم التصوف و قواعده، فيقول بأنه اسم جامع لعشرة معان : الأول : التقلل من كل شيء من الدنيا عن التكاثر فيها، الثاني : إعتماد القلب على الله عز وجل من السكون إلى الأسباب، و الثالث : الرغبة في الطاعات من التطوع في وجود العوافي، و الرابع : الصبر على فقد الدنيا عن الخروج إلى المسألة و الشكوى، و الخامس : التمييز في الأخذ عند وجود الشيء، و السادس : الشغل بالله عز وجل عن سائر الأشياء، و السابع : الذكر الخفي عن جميع الأذكار، و الثامن : تحقيق الإخلاص في دخول الوسوسة، و التاسع : اليقين في دخول الشك، و العاشر : السكون إلى الله عز وجل من الاضطراب و الوحشة، فإذا إستجمع هذه الخصال إستحق بها الاسم و إلا فهو كاذب.

و لم يقف الأمر عند هذا التعريف الجامع المانع لأركان التصوف المختلفة التي ترتبط بالجسد و القلب و النفس و الروح، بل يحاول الجنيد أن يصل التصوف بأخلاق الرسول و الأنبياء، فاعتبر التصوف مبنيا على أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، فالسخاء لإبراهيم، و الصبر لأيوب و الغربة هي لا يحي، و الرضاء هو لإسحاق، و الإشارة هي لزكرياء و لبس الصوف هو لموسى، و السياحة و هي لعيسى، و الفقر و هو لمحمد صلى الله عليه و سلم.و هكذا يجعل من أخلاق الأنبياء مقامات للتصوف و مظاهر خاصة بالصوفية. (5)

و في الأخير تبقى كلمة التصوف من الكلمات الغامضة التي تعددت تعريفاتها و مفاهيمها و يرجع ذلك إلى تداولها بين الديانات المختلفة و الحضارات الإنسانية عبر مختلف العصور التاريخية، كما أن الباحثين لم يجمعوا على تعريف شامل جامع لها.

ثانيا – مراحل التطور الصوفي :

قسم علماء التصوف و الباحثون فيه مراحل التطور الصوفي إلى ثلاث مراحل هي :

المرحلة الأولى :

ظهر التصوف في هذه المرحلة على أنه زهد في الحياة الدنيا و البعد عن متعتها و اختيار الحياة الأخرى و ما فيها من نعيم مقيم للمؤمنين، و يستلزم هذا الطريق مجاهدة المسلم لنفسه على الاستقامة و الطاعة لله عز وجل، و المشاركة في الأعمال الصوفية، و تطبيق ما جاء في الكتاب و السنة، و قد ظهرت هذه في القرن الأول و الثاني الهجري، و تمثل العصر الذهبي للتصوف، حيث إقتصرت على الشيخ و تلاميذه الذين ينتقلون من مكان لآخر دون أي يؤسسوا نظاما معينا.

المرحلة الثانية :

تتسم بإتساع نطاق التصوف بسبب انتشار الدين الإسلامي في الشرق و الغرب و ازدياد نشاط الطرق الصوفية بعد انضمام عدد كبير من الأتباع، و ظهور عدد من علماء الصوفية، الذين أضافوا إلى التصوف تعبيرات جديدة مستمدة من الكتاب و السنة مثل الفقر، ثم أرادوا أن يميزوا بينهم و بين بقية المسلمين

فإختاروا الملابس الصوفية التي عرفوا بها على مر العصور المختلفة، و بالإضافة إلى تطوير نظام التدريس في الطرق الصوفية مع ظهور أنماط جديدة من الطرق الجماعية.

المرحلة الثالثة :

يظهر فيها التطور الصوفي، و التوسع في المجال الروحي لمشاهير رجال الطرق الصوفية، فبعدما امتزجت الثقافات الوافدة إلى المسلمين من الدول التي دخلت الإسلام مع الثقافة العربية، أعلنت عن مولد ثقافة جديدة هي الثقافة الإسلامية فكان لابد أن يواجه علماء التصوف هذه الظاهرة بإدخال بعض التغيرات و الظواهر من حيث ترتيب المقامات و الأحوال و نظام السلوك و الآداب التي في الكتاب و السنة. (6)

و من هنا صار التصوف حركة شعبية و ظهرت له فروع جديدة و انتشرت في المناطق الريفية و ازداد عدد الطرق الصوفية، و ظهرت جماعات الإخوان، و صار الزهد تعبيرا عن هذا النشاط الصوفي، و انتشرت الطرق الصوفية بشكل واسع كرد فعل للإستعمار الأوروبي، و أصبحت الطرف الصوفية تمثل نشوة دينية لجأ إليه المجتهدون من أبناء الإسلام تقربا إلى الله، و اللجوء إليه في مواجهة الإستعمار الذي أحاط بديار الإسلام و المسلمين خصوصا في القرن 19، كما أصبحت مظهر من مظاهر اليقظة الإسلامية. (7)

ثالثا – التربية الصوفية و منهجها :

تدور التربية الصوفية حول منطلقين أساسين، أحدهما المسلم الصوفي بكل طاقاته و إمكانياته و إرتباطه بالكون بما فيه من خصائص و أسرار، و ثانيهما علاقات الصوفي بربه و خالقه، و من خلال هذه العلاقة تتم علاقاته مع جماعة الصوفية و الجماعات الأخرى الإسلامية، فالمسلم الصوفي يحتاج إلى تلك التربية التي وضعها أئمة الصوفية له و التي تقوم على العمل الصالح و تقوى فيه الجانب الروحي حتى يقوى على كبح جماع شهواته و ملذاته فيفسح المجال للفكر أن ينطلق عبر مجالاته، و التي رسمها الله له، و بذلك يكن الصوفي قد أعد إعدادا سليما لمكانته الأساسية و هي الخلافة في الأرض.

و تسعى التربية لإعداد المريدة أو السالك للحياة الأخرى (يوم القيامة) و لا يتم هذا الإعداد لتلك الحياة إلا عن طريق معرفة الخلق، و لهذا وضعوا للمريد مقامات مختلفة لا يرتقي المريد من مقام لأخر إلا إذا بلغ درجة الكمال في مقامه و يشهد له بذلك أساتذته.

فإعداد المريد نحو القرب من الله و حبه هي أسمى الأهداف و جنب هذه الغاية تنزوي كل الأهداف الأخرى، و تنحصر رغبته في حب الله و رضاه عنه.

و لا يتم الإعداد لهذه المقامات إلا إذا سلك الطلاب طريق الزهد في الدنيا، و يجب أن يكون الزاهد مالكا الدنيا و ليس الدنيا مالكة له، و بمعنى آخر أن تكون الدنيا في يده بأن يشارك في الحياة عن طريق العمل و التعرف على خصائص الكون و أسراره و لا يتم له ذلك إلا عن طريق المعرفة، و تتم المعرفة إلا عن طريق القراءة و هنا تحدد المدرسة الصوفية نوعية هذه القراءة و الهدف منها و طبيعة كل مرحلة من مراحلها.

فالصوفي من خلال التربية الصوفية التي يتلقاها من المدرسة الصوفية يسعى إلى الدنيا من اجل إكتساب قوته و قوة أسرته، و بهذا يشارك في الحياة و يلعب فيها دورا كبيرا نحو تطور أساليبها و الرقي بها من خلال سموه الروحي.

و يقوم أئمة الصوفية بتربية طلابهم بطريقة معتدلة بحيث يكون الطالب معتدلا في جميع جوانب الحياة، فلا يكون مطلقا نحو روحية تبعده عن الرسالة التي خلق من أجلها، و إنما ليسمو بنفسه و روحه و في نفس الوقت ينال قسطا من الحياة المادية بإعتدال.

و بهذا تكون شخصية الصوفي كما بلورتها التربية الصوفية شخصية لا يستهان بها من حيث إرادتها و صلاحها و قوة نقاء بصيرتها و روحها بقربها، بل وحبها لخالقها، وقد زودت التربية الصوفية طلابها بالقدرة على إستخدام كافة الإمكانيات الموجودة فيهم بما فيها إمكانية الإنطلاق بثبات نحو الإدراك الكامل المبني على الحب الشديد للخالق حتى تتحقق مكانتهم في المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك عملت التربية الصوفية على إزالة الفوارق الإجتماعية بين طلابها، و قضت على أكبر حاجز إجتماعي في المدرسة الصوفية يعوق تقدم المدرسة و رقيها و تطورها نحو خلق جيل جديد يحب الخالق و يسعى لإرضائه بالعمل و الفكر و المشاركة في المجتمع. (8)

و من أجل ذلك كله وضعت التربية الصوفية منهج ليحقق ما ترمي إليه الجماعة الصوفية من خلق جيل قوي ذو شخصية مؤثرة في العالم الإسلامي و يستمد هذا المنهج قواعده و أسسه من العقيدة الإسلامية المتمثلة في كتاب الله عز وجل و سنة الحبيب المختار رسول الله، و لهذا فإن المنهج شاملا في مفهومه، و عمليا في تطبيقه على الجماعة الصوفية.

وقد اهتم المنهج بالفرد الصوفي اهتماما كبيرا فوضع له النظم التي تعمل على تهذيبه خلقيا و روحيا و عقليا ، كما وضع المواد الدراسية التي تتمشى مع إستعدادات و ميول و حاجات و قدرات الطلاب، مراعيا في ذلك الفوارق الفردية بين جماعته، و يعمل على التوازن المنشود بين متطلبات الحياة و الطبيعة الدنيوية للإنسان و حاجات كل من العقل و الروح، حتى يكون الفرد متمسكا مترابطا مع جماعته و يقوم بواجباته نحو نفسه و مجتمعه، و مشاركته الفعالة في الحياة الاجتماعية المختلفة بفكر واسع و روح قوية متماسكة صافيه خالية من الأمراض الإجتماعية و النفسية و الجسدية. (9)

و من هنا يتضح بأن التربية الصوفية لها منهج ذوقي يقوم على المجاهدة و التربية الصوفية التي وضعها الشيوخ للمجتمع الصوفي فيما بين بعضهم بعض تدريبا على إنكار الذات إنكارا تاما للوصول بالأعمال كلها إلى المحبوب سبحانه و تعالى، لذلك كان المنهج الأجدر بالإتباع في بلوغ السعادة هو قطع القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود فمن ذاق عرف و من لم يذق لم يعرف.

و بجانب ذلك لم يعمل الصوفية المنهج النقلي و هو منهج السلف الصالح القائم على الأخذ من الكتاب و السنة.

وقد قسم الدكتورعبد البارى محمد داود منهج التربية الصوفية إلى منهجين و هما :

أولا- المنهج الإختياري :

هذا المنهج يضع الشيخ خطوطه، إذ يحرم الطالب من الماديات حرمان ا تدريجيا و يدور هذا المنهج حول أربعة أشياء قالوا أنها أركان التربية الصوفية و هي : الجوع و الصمت و السهر و العزلة. (10)

ثانيا–المنهج الإضطراري :

هذا المنهج لا دخل للطالب فيه، و يكون ذلك حينما يقوى يقينه بجدوى سلوكه الجديدة، و يذوق من الوجدان ما يدفعه إلى معركة سافرة يخوضها مع المادة راغما و دون وعي، و يخوضها و قد فقد الشعور بالألم، و لم يحس سطوة الحرمان، و لم يبال بشيء من ترهات المجتمع التي توشك أن تشده إلى الحضيض. (11)

و من هنا فإن المنهج الصوفي يحقق بصفة خاصة عبودية المسلم الصوفي لديه حتى يصل من خلالها إلى إيجاد قلب نظيف مفتوح لا منطو على نفسه محبا لربه فهو يربى الفرد على الإندماج الإجتماعي مع الأفراد و الأشياء داخل المجتمع و الإرتقاء بحياة الإنسان إلى أفق رباني أرحب و أنظف و أكمل. (12)

رابعا– أهداف التربية الصوفية :

ان التصوف جليل القدر وعظيم النفع أنواره لامعة و ثماره يانعة فهو يزكي النفس من الدنس و يطهر الأنفاس من الارجاس، و يوصل الإنسان إلى مرضاة الرحمان و خلاصته إتباع شرع الله و تسليم الأمور كلها لله و الإلتجاء في كل الشؤون إليه مع الرضى بالمقدر، من غير إهمال في واجب و لا مقاربة لمحظور.

و مهما أختلفت الطرق الصوفية فإن الإختلاف ليس في المبادئ حيث أن أهم شيء هو الرباط بين الشيخ و مريديه، و هذه التنظيمات متشابهة و لا تختلف إلا في التفاصيل الفرعية مثل الأوراد و العهود و المراحل التي يمر بها الشخص للوصول إلى الطريقة، و على رأس كل طريقة الشيخ الذي يعتبر منصبه وراثيا و يأتي من بعده خلفاؤه و نوابه الذين يشرفون على المناطق المختلفة ثم يأتي بعد ذلك المقدمون أو المسؤولون عن الأذكار و عن عمل الدعاية للطريقة و دخول أعضاء جدد بها، و بالرغم من إختلاف وظائف كل فئة للطرق الصوفية إلا أنه يطلق على أعضاء الجماعة لقب الإخوان، و كل من ينظم إلى الطريقة يسمى مريدا، و هذا الأخير ينتقل بمراحل مختلفة من النقيب أو السالك إلى النجيب أو الواصل إلى أن يصل إلى درجة القطب الروحي أو الرباني و هي أعلى المراتب في الطرق الصوفية. (13)

و على طريق هذا النسيج الصوفي قام أئمة الصوفية بتربية مريديهم إنطلاقا من كتاب الله عز وجل و السنة النبوية الفعلية و القولية و غرضهم أو هدفهم من وراء هذه التربية الصوفية يكمن فيما يلي :

1– صفاء النفس :

أن طبيعة النفس الإنسانية تميل إلى الشرور و الآثام فلو تركت و شأنها و لم تقهر شهواتها و نزواتها لدمرت الإنسان و حطمت حياته فهي لا تميل إلى العبادات التي فرضها الله كالصلاة و الصوم و الزكاة، لأنها تحس بأن هذه العبادات قيود، و تكره كل قيد، و كذلك لا تميل إلى المتابعة و المراقبة كما تميل إلى

المعرفة و حب الإستطلاع حين تشاهد الأشياء لأول مرة فتسأل عنها، و أنها ميالة للإعجاب و التظاهر و التفاخر.

و لقد وقف الإسلام منها موقف المنافي لميولها فارتضى ما كان منها طيبا و رفض كل شيء مناف للأخلاق الحميدة.

و من هذا المنطلق تسعى المدرسة الصوفية إلى إيجاد صفاء للنفس و ذلك عن طريق المجاهدة الشاقة و المكابدة، و لهذا وضعت عدة تدريبات قاسية لنفس يمارسها الطالب الصوفي عمليا تحت إشراف أستاذ خبير بطبيعة تلك النفس(14)، يعمل على تصفيتها من الرذائل و تحليلها بأنواع الفضائل و يحول كل فعل قبيح إلى فعل مليح، و من هنا تجتنب النفس المناكر و تمتثل للأوامر، فتجاهد النفس الظاهر بدوام الطاعات و كف المنهيات و المباطن بنفي الخواطر الرديئة و دوام الحضور في الحضرة القدسية، و تجاهد السرائر بإستدامة الشهود و عدم الإلتفات إلى غير المعبود. (15)

2- الدعوة إلى المعرفة :

و هي الهدف الثاني و هي هدف هام تجعله التربية الصوفية في نيتها و مرادها و تسعى الى تحقيقه بكافة الطرق و هو إحراز الحكمة، و الحكمة تأتي عن طريق المعرفة.

و المعرفة كتجسيد لوصول، و تعبير عن العلاقة بالله هي علاقة حب و هي بداية الطريق في التربية الصوفية و نهايتها لا حد لها، لأنها فعل لا يشبع، بدايته معرفة الله و نهايته ما لا حد له، و ما يتحصل عليه الصوفي هو مجرد ظلال معرفة تجلت بعدة إشكال عبر عنها المتصوفة بالمقامات و الأحوال، و لعل أهمها على الإطلاق " حال الحب "، و هو فعل يمارس به العارف علاقته بالله في أوسع معانيها ليصبح الطريق إلى المعرفة و ثمرتها.

فإذا كان هدف صاحب المعرفة هو إمتلاكها، فإن الذات القائمة بفعل الحب التي لابد أن تكون مشمولة معرفيا، فطالب الصوفية لا يتصور أن يحب الله إذا لم يعرفه و لو إلى حد ما،(16) و ذلك عن طريق التأمل و التفكير العميق في خالقه، و بهذا النهج سارت المدرسة الصوفية في تربية مريديها و طلابها.

3- إحترام العمل :

تدعو المدرسة الصوفية إلى العمل المنتج الخير و مضاعفته و الأخذ بأسباب القوة، و هذا لا يأتي إلا عن طريق مضاعفة العمل و الإنتاج و ينظر الصوفية إلى أهل التبطل على أنهم قوم جهالة حتى و لو كانوا يدعون إلى الزهد و التقشف، فيعتقدون بأن المتصوف الذي لا يكتسب بالعمل ليس جديرا بالإنتساب إلى الطريق الصوفي فالمدرسة الصوفية تساعد المتعطلين و تجد الأعمال المناسبة لهم، لأن البطالة ليست من أخلاق الصوفية.

و العمل عند الصوفية هو عبادة يجب على الفرد ان يؤديها كما تؤدي الفرائض و التكاليف الشرعية.

فبالنظر إلى أصحاب الطرق الصوفية نجد أن جميع مريدي الطريق الصوفي من أصحاب الأعمال و الوظائف العامة، و منهم التجار و أصحاب الحرف، و قل ما نجد منهم عاطلا.

4- التمسك بالأخلاق الحميدة :

وضح لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم الأخلاق و عظمتها في قوله << الصلاة صلة، الزكاة طهر، و الصوم جنة، و الحج جهاد، و الأخلاق تصدق و لا تكذب >>.

و من هنا أستوعب المسلمون الأوائل علوم الأخلاق و كان لهم في رسول الله القدوة الحسنة و إصلاح الكثير من أفعالهم و أقوالهم في دائرة الإسلام.

و بمثل ذلك إقتدت المدرسة الصوفية، فمن ميزات التربية الصوفية أنهم لا يكتفون بتأديب النفس و تطهيرها من جميع الرذائل و التحلية بالفضائل، بل يهتمون بتأديب جميع الأعضاء و الجوارح فيتكلمون عن آداب الإعطاء و تحديد حركاتها المؤدبة وغير المؤدبة من السمع و البصر و اللسان و اليدين و الرجلين و ما إلى ذلك.

فلم يعرف في تاريخ المذاهب الأخلاقية قوم إشتدوا في مخالفة النفس و تصفية الباطن كما فعل الصوفية، فيقول سهل التسترى بأن أول ما يؤمر بالمريد التبري من الحركات المذمومة، ثم التنقل إلى الحركات المحمودة، ثم التفرد لأمر الله تعالى، ثم التوقف في الرشاد ثم الثبات، ثم البيان، ثم القرب، ثم المنجاة، ثم المصافاة، ثم المولاة، و يكون الرضا و التسليم مراده، و التفويض و التوكل حالة، ثم يمن الله تعالى بعد هذا بالمعرفة، فيكون مقامه عند الله مقام المرتئين من الحلول و القوة، و هذا مقام حملة العرش و ليس بعده مقام. (17)

خامسا– المؤسسات التربوية الصوفية :

لقد شاع التصوف في العصور الإسلامية على إختلافها و تعلق الناس بطرز من أهل العلم و الدين، و أخذوا طريق الزهد و التصوف و أكثر الناس من بناء مؤسسات و دور للتربية الصوفية، من دور العلماء و مدارس و زوايا و مساجد و غيرها من المؤسسات التربوية التي ساهمت في نشر التربية الصوفية خلال الفترات التاريخية المختلفة.

فقد كانت حلقات الدرس تقام لأئمة و شيوخ الصوفية فيأتي إليها الطلاب من كل فج عميق للإستماع إلى الحوار و المناقشات حول الموضوعات الدينية التي تمس حياة المسلمين عامة و تهفو نفوسهم إلى الأخذ بها حبا لله و مرضاة له و تجنبا لغضبه و عقابه، و لم يتخذ أهل الصوفية مكان مخصصا لهم لإقامة حلقات الذكر و المناقشة أو المحاضرة، بل إشتركوا في معظم الدور الإسلامية المختلفة.

و كانت المؤسسات التربوية الصوفية دورا يسكنها المتصوفة للعبادة و التزهد و الدراسة و الطعام و اللباس، و سكنها الفقهاء و الغرباء و أحيانا كبار العلماء، و كانت في بعض الأحيان مركزا لإجتماعات العلماء و مناقشاتهم العلمية، أو مقبرة لأصحابها و المريدين، و صارت مأوى للعاجزين من أصحاب العاهات، و كبار السن و للنساء المطلقات و اليتامى الفقراء.

فأصبحت المؤسسات التربوية الصوفية تؤدي خدمات إجتماعية و دينية و ثقافية كالوعظ الإقراء و التحديث و الإفتاء و منح الإجازات العلمية و تصنيف الكتب، حيث ضمت الكثير من المؤسسات الصوفية خزائن الكتب و وقفوا عليها الكتب، و عينوا عليها القوام و الخزان و من يقوم بصيانتها و ترتيبها و مناولتها، و هذا ما ساعد على حركة التأليف فيها و المطالعة

و لم تقتصر المؤسسات الصوفية على العبادة والزهد و تأليف الكتب و التحديث والإفتاء و المحاضرات بل تنوعت و إختلفت بتنوع الرجال و إختلاف العصور بحيث صارت عالما ثقافيا له خصائصه الواضحة المتميزة للحضارة الإسلامية فقد نشأت في الربط ألحان خاصة من الموسيقى و الغناء تلك الألحان التي تتناسق و تتجاوب مع نفوسهم في ورعهم و خشوعهم و ذكرهم.

هكذا ساهمت المؤسسات التربوية الصوفية إسهاما فعالا في نشر الثقافة الروحية الإسلامية في أقاليم الدولة الإسلامية، كما ساهمت في خلق جيل يؤمن بربه إيمانا صادقا مسئولا عن القيام بواجبه نحو مجتمعه و أسرته. (18)

خاتمة :

في الختام يتضح لنا بأن التربية الصوفية مرتبة عاليا في إصلاح الفرد بالوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا و باطنا، لأن التصوف مبني على الكتاب و السنة و ذلك بـلتباع شرع الله تعالى و الإقتداء بسنة النبي صلى الله عليه و سلم .

فالصوفي اليوم يصنع التاريخ و يعيد بناء الحياة، فقد كانت للمؤسسات الصوفية الأثر الواضح في توجيهات العالم الإسلامي الفكرية و العلمية و التعبدية، بل أكبر الأثر في فتوحاته و انتصاراته العالمية و في رسم أهدافه و مثله العليا الاجتماعية و الخلفية و الروحية. و كانت رسالته صاحبة الدعوة إلى تصحيح العلم و العمل و مراقبة الله تعالى و تزكية النفس و تطهيرها من الذنوب و تقريبها من رضوان الله عز وجل.

*** الهوامش و المراجع :**

1- عبدالرحمان ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دراسة احمد الزعبي ، بيروت : دار الارقم 2001. ص 518.

2- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، القاهرة : دار الثقافة، 2004، ص ص 12-14.

3- محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات و مذاهب، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 142.

4- نفس المرجع، ص ص 378-379.

5- نفس المرجع، ص 244.

6- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، القاهرة : مطبعة مدبولي، ط2، 1992، ص 27.

7- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، ص 24.

8- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، مرجع سابق، ص ص 114-116.

9- نفس المرجع، ص 121.

10- عبد الباري محمد داود، المنهج التربوي و العلمي عند الصوفية، الإسكندرية : مطبعة الإشعاع الفنية، 2002، ص ص 13-14.

11- نفس المرجع، ص 22.

12- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، مرجع سابق، ص 27.

13- ابن عجيبة الحسنى، مصطلاحات التصوف، القاهرة : مكتبة مدبولي، 1999، ص 11.

14- آمنة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفي، في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، الجزائر : منشورات الإختلاف، 2002، ص 22.
15- عبد الباري محمد داود، مرجع سابق، ص ص 40-42.
16- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، مرجع سابق، ص ص 130-133.
17-محمدعبد السيد الجليند،من قضايا التصوف،في ضوء الكتاب والسنة،القاهرة:دار قباء،2001،ص 31.
18- ولترستيس ،التصوف...والفلسفة،ترجمة امام عبد الفتاح امام ،القاهرة: مكتبة مدبولي ،1999،ص ص 390-399.